جامعة المدينة العالمية
Al-Madinah International University

مجلة الرّاسخون
ARRASIKHUN JOURNAL

ARRASIKHUN JOURNAL

PEER-REVIEWED INTERNATIONAL JOURNAL

مجلّة الرّاسخون

مجلّة عالميّة محكّمة

ISSN: 2462-2508

Volume 10, Issue 3 Sep 2024

الإصدار العاشر، العدد الثّالث، سبتمبر 2024

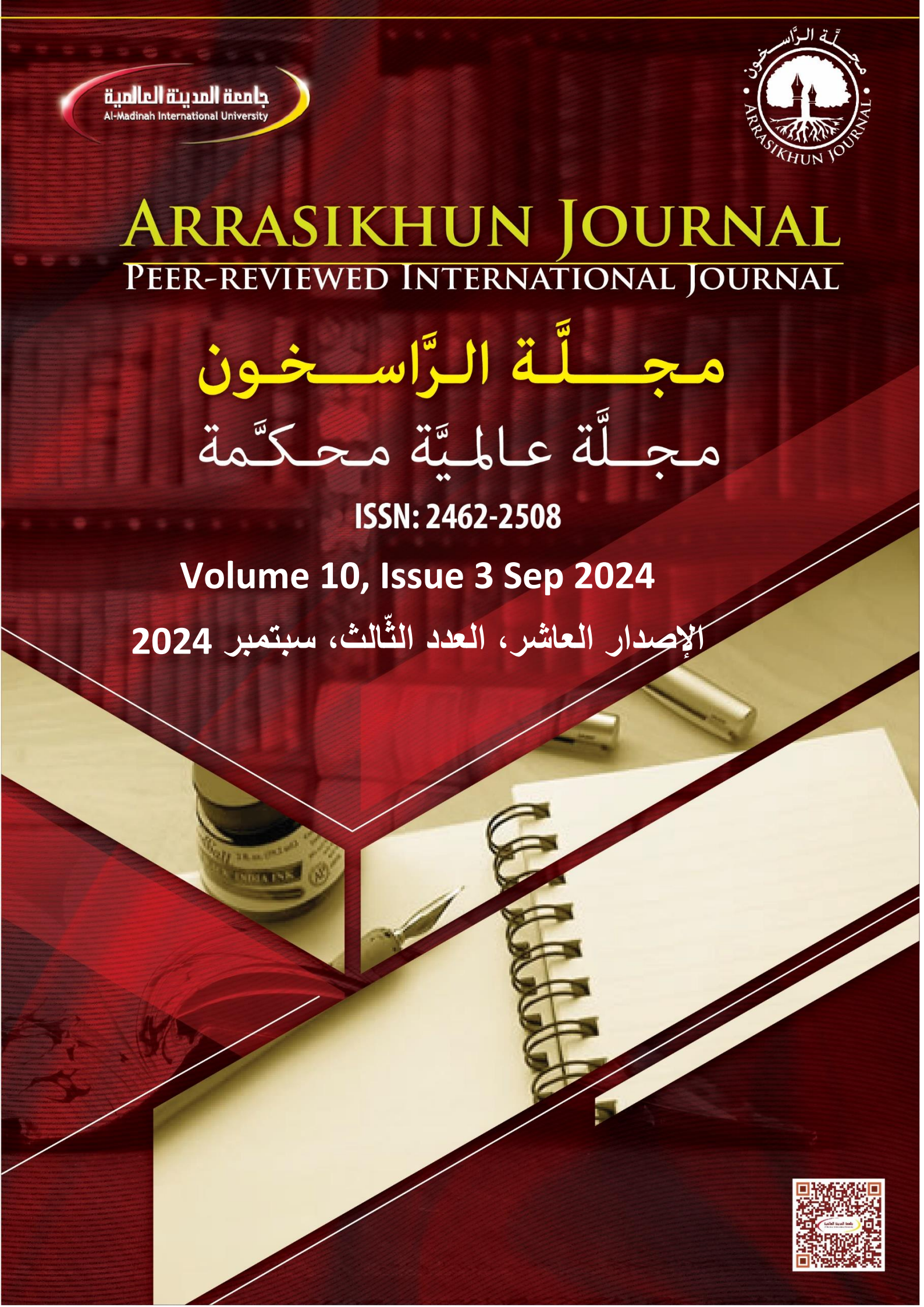

مجلة الرّاسخـــون

مجلة عالمية محكّمة

ISSN:2462-2508

أبحاث الإصدار العاشر، العدد الثّالث، سبتمبر 2024

أولًا: الدّراسات الإسلامية

	البحث	الصّفحة
1	تصحيح حديث ابن عباس رضي الله عنهما في القضاء باليمين والشاهد ودرء علله.....	28-1
2	القراءات الشاذة التي نسبها السمرقندي في تفسيره لابن مسعود جمعًا ودراسة.....	52-29
3	المسؤولية الحضارية بين الإسلام والفكر الغربي المعاصر (هانس يوناس Hans Jonas أنموذجا)	84-53
4	توجيه القراءات عند ابن ناقيا البغدادي في كتابيه شرح الفصيح والجمان في تشبيهات القرآن - جمعًا ودراسة.....	110-85
5	البعد العقدي لقيمة اليقين.....	144-111
6	القـــراءات الواردة في سورة الإسراء من خلال تفسير نظّام الدين النّيسابوري ت(850هـ) "غرائب القرآن ورغائب الفرقان" (دراسة تحليلية)	175-145
7	الأمراض النفسية وأثرها على العلاقة الزوجية في المملكة العربية السعودية فقهاً وقانوناً: دراسة فقهية قانونية في محاكم الأحوال الشخصية بالمملكة العربية السّعودية.....	201-176
8	أحكام تصرفات الولي في مال القاصر وتطبيقاتها الفقهية والقضائية في النظام السعودي	224-202

ثانيًا: الدّراسات اللّغوية

	البحث	الصّفحة
9	الشعر بين الرسالة والإبداع في ديوان "أصداء الحياة	242-225

ثالثًا: الدّراسات التّربوية

	البحث	الصّفحة
10	واقع ممارسة قائدات المدارس للقيادة الخادمة في المرحلة الثانوية بمدينة جدة من وجهة نظر المعلمات	266-243

أعضاء هيئة تحرير المجلة:

رئيس هيئة التّحرير : الأستاذ الدّكتور / داود عبد القادر إيليغا

مدير هيئة التّحرير: الأستاذ المساعد الدّكتور سامي سمير عبد القويّ

نائبة مدير هيئة التّحرير: الأستاذة/ عايدة حياتي بنت محمد سند

سكرتيرة المجلة: الأستاذة/ دينا فتحي حسين

محكّمو أبحاث العدد (حسب التّرتيب الأبجدي):

- الأستاذ المساعد الدكتور إبراهيم محمد البيومي
- الأستاذ المشارك الدكتورة أمل محمود علي
- الأستاذ المشارك الدّكتور/ أشرف زاهر
- الأستاذ الدكتور/ أنيس الرّحمن منظور الحقّ
- الأستاذ المشارك الدكتورة إيمان محمد مبروك قطب
- الأستاذ المشارك الدّكتور/ باي زكوب عبد العالي
- الأستاذ الدّكتور/ خالد حمدي عبد الكريم
- الأستاذ المساعد الدكتور/ سامي سمير عبد القوي
- الأستاذ المشارك الدّكتور/ السيد سيد أحمد محمد نجم
- الأستاذ المساعد الدكتور/ سمير سعيد حسين الحصري
- الأستاذ المشارك الدكتور/ المتولي علي الشحات
- الأستاذ المشارك الدّكتور/ عبد الرحمن حسانين
- الأستاذ المشارك الدكتور/ عبد الواسع إسحاق نصر الدين
- الأستاذ المشارك الدكتور/ محمد الحلواني
- الأستاذ المشارك المتولي علي الشحات
- الأستاذ المساعد محمد السيد البساطي
- الأستاذ المشارك الدكتور/ محمد صلاح الدين أحمد فتح الباب
- الأستاذ المشارك وليد علي الطنطاوي

Arrasikhun Journal, Volume 9, Issue 5, September 2024

ISSN: 2462-2508

الشعر بين الرسالة والإبداع في ديوان أصداء الحياة

Poetry as an Epistle and Creativity in the Collection of Poems, Echoes of Life

عبداللـــه رمضان خلف مرسي

أستاذ الأدب والنقد المشارك

كلية اللغات – جامعة المدينة العالمية (ماليزيا)

arharidy@mediu.my

الملخص

يتناول هذا البحث العلاقة بين مفهوم الإبداع وما يستدعيه من أدوات وتقنيات فنية والرسالة أو المضامين التي تحملها هذه الأشكال الإبداعية، والجدل الذي ثار بين المدارس والنزعات النقدية المختلفة، بين من يرى أن الرسالة أو الالتزام في العمل الإبداعي يضعف من قيمته الفنية وأن الإبداع يجب أن يتحرر من المضامين التي تجعل منه إبداعا مباشراً، وبين من يرى أهمية المضامين في العمل الإبداعي لأن الخيال المجرد عن المضامين ما هو إلا تهاويم. يناقش البحث مفهوم الأدب الرسالي في هذا السياق بوصفه المعادل الحضاري العربي لما يسمى بالأدب الملتزم الذي ارتبط بالنظرية الماركسية وما يدور في فلكها من نزعات مرجعيتها اشتراكية، وجاء التطبيق على ديوان أصداء الحياة للكشف عن أن الشعر الرسالي لا ينفصل عن مقومات الإبداع وفنياته، وليس بالضرورة أن يكون مثل هذا الأدب أدبًا أقرب للخطابة والوعظ كما يتهمه البعض، وفي سبيل بحث هذه الإشكاليات اعتمد البحث على عدد من المبادئ المنهجية من وصف وتحليل فني.

الكلمات المفتاحية : الشعر – الرسالي – الالتزام – الخيال – الإبداع

ISSN: 2462-2508

ABSTRACT

This research deals with the relationship between the concept of creativity and the artistic tools and techniques it requires, and the message or implications that these creative forms carry, and the controversy that arose between different schools and critical trends, between those who believe that the message or commitment in creative work weakens its artistic value and that creativity must be freed from the implications that make it direct creativity, and those who see the importance of implications in creative work because imagination devoid of implications is nothing but delirium. The research discusses the concept of epistolary literature in this context as the Arab civilizational equivalent of what is called committed literature, which is linked to Marxist Theory and the Socialism-referenced tendencies that revolve around it. The application came to the poetical collection of Echoes of Life to reveal that epistolary poetry is not separate from the components of creativity and its techniques. Such literature does not necessarily have to be literature akin to rhetoric and preaching, as some accuse it. To address these problems, the research adopted a number of methodological principles such as artistic description and analysis.

Keywords: poetry - epistolary - commitment - imagination - creativity

ISSN: 2462-2508

1- تمهيد:

من محاسن الأقدار أن وقعت يدي على ديوان مخطوط للشاعر عبد الرحمن صان الدين، ومن ثم شرعت في قراءته بتأن وتحليله تحليلًا مبدئيًا للبحث في أنسب دراسة تناسب هذا الإبداع وهذا الشاعر المتميز، وقد كان مدخل الأدب الرسالي هو الأنسب في هذا السياق، وتمثلت **إشكالية البحث** فيما أثير من جدل بشأن إمكانية أن يجمع الإبداع بين عناصر الفن والفكر، فهناك توجهات دعت إلى أن يكون الفن للفن، واهمت التوجهات الأخرى التي تناولت الفن من منظور قيمي بأنها تتجاهل طبيعة الإبداع الفني وما يتطلبه من خيال وتشكيل يتجاوز المضامين.

فأثيرت **أسئلة البحث** التي سعى للإجابة عنها:

- من هو عبد الرحمن صان الدين؟
- وما مفهوم الأدب الرسالي؟
- وما سمات الأدب الرسالي وخصائصه؟
- وهل استطاع الأدب الرسالي أن يحقق معادلة الفن والمضمون؟

أهداف البحث:

- التعريف بالشاعر وعرض جانب من حياته وإبداعه.
- دراسة مصلح الأدب الرسالي وما يعبر عنه هذا المصطلح وما يشبهه من مصطلحات.
- بيان سمات هذا الأدب وخصائصه التي تجعله متمايزًا ومعبرًا عن أصالة الانتماء الحضاري العربي والإسلامي للشاعر وشعره.
- التحليل الفني بيان أن الأدب الرسالي جمع بين أدوات الإبداع والمضامين الأخلاقية دون جنوح إلى وعظ سطحي أو خطابة ومباشرة.

وتمثل **المنهج** في أدوات متعددة تنتمي إلى المنهج التاريخي والوصفي والتحليلي الفني.

2- عن الشاعر*:

هو محمد عبد الرحمن صان الدين كُريم (1923م-2001م)، المولود عام ثلاثة وعشرين وتسعمائة وألف من الميلاد في الثالث من يناير، بقرية برديس، مركز البلينا، محافظة سوهاج بجمهورية مصر العربية، ويتصل نسبه بأسرة الأنصاري الشهيرة بجرجا، وله من الأبناء ثلاثة، ومن البنات أربع، كلهم من حملة المؤهلات العليا ومنهم من يعمل في حقل الأكاديميا[1].

ينتمي الشاعر إلى أسرة مصرية عريقة، كان والده يعمل بمهنة الزراعة، وكان حافظًا للقرآن الكريم، ربى أولاده على القيم والاحترام.

نشأ محمد عبد الرحمن أزهريا، ونبغ في قول الشعر وهو ما زال طالبا بالمعهد الأزهري، وظل ينظم الشعر لمدة عشرين عاما لم يوفق فيها لنشر قصائده، إلى أن استقر به المقام في القاهرة حيث التقى قريبا له وهو محمد صابر البرديسي الذي كان يعمل في إدارة

* المعلومات الخاصة بالشاعر تم الحصول عليها من أسرته الكريمة، بالإضافة إلى بحث: " القضايا الفكرية، والخصائص الفنية في حماسيات صان الدين – د. غانم السعيد محمد غانم.

(1) انظر: القضايا الفكرية، والخصائص الفنية في حماسيات صان الدين – د. غانم السعيد محمد غانم – ط1 (القاهرة – 1998م) ص14-15.

ISSN: 2462-2508

تحرير مجلة الأزهر، وقد ساعده على نشر قصائده فيها إلى أن أصبح من شعرائها المميزين.

عمل الصان في العديد من المهن منها مهنة "مأذون" في قريته، وكان رحمه الله خطيبا مفوها مارس الخطابة والدروس الدينية في أكبر مسجد بقريته، وعندما استقر في القاهرة عمل مدرسا بإحدى المدارس الابتدائية ثم انتقل بعد ذلك إلى ديوان الوزارة(2).

3- حول الديوان:

ديوان "أصداء الحياة" ديوان مخطوط، تحصلت عليه من صديقي العزيز أ.د. صلاح عبد التواب، وهو زوج كريمة الشاعر، وكان -مشكورا- قد أطلعني على نماذج من شعر الشاعر في لقاء علمي جمعنا، وأخبرني بأمر الديوان، ووعد بأن يقرضني إياه، فكان، ومن ثم عنيت بتحويله إلى كتاب إلكتروني، مع المحافظة على الترتيب كما في الأصل إلى أن يأذن الله بنشره.

والديوان يقع في 142 صفحة، بخط يد الشاعر، يحتوي على 59 قصيدة، وكل قصيدة في هيئة مقاطع، كل مقطع 5 أبيات، وتبلغ مقاطع القصائد كلها 410 مقطعا، بعدد أبيات 2050 بيتا، ويمكننا أن نطلق عليه إنه ديوان من الخماسيات، وأغلب قصائده جاءت بعدد مقاطع ستة.

ولنا وقفة للنظر في دلالة هذه التقسيمات التي يبدو أن الشاعر ألزم بها نفسه، في دراستنا لبنية القصائد في هذا الديوان.

(2) انظر: السابق ص18-19.

4- مفهوم الأدب الرسالي:

الجدل بشأن المضامين الفكرية التي يحملها العمل الإبداعي قديم وما زال مستمرا، وكل يدلي بدلوه حسب معتقده أو رؤيته لوظيفة الإبداع، هل هي جمالية فقط، أم رسالية، أم تجمع بين الأمرين؟!! ولعل مفهوم الالتزام من المفاهيم المعادلة على نحو ما لمصطلح "الرسالي"، واشتهر به الماركسيون والوجوديون، ويبدو كذلك أن مصطلح "الرسالي" اختص به أصحاب الاتجاه الإسلامي في الأدب، أو بالأحرى، اختصوا به أنفسهم، وهو ذلك التوجه الذي ينتصر لوظيفة الأدب الإصلاحية، وأن يكون صادرا عن قيم الإسلام وأطره العامة، ورؤيته للكون والإنسان.

وكأني بمصطلح "الرسالي" يأتي في سياق انتشار موجات أسلمة المعرفة التي انتشرت خلال بضعة عقود ماضية، وربما ما زالت آثارها ممتدة إلى الآن، والأدب من المعارف أو الأنشطة الإنسانية التي طالتها تلك الموجات.

ومهما يكن من أمر فإن الأصول الرسالية المرتكزة في الإبداع العربي قديمة قدم الدعوة نفسها، وقد كان شعراء الإسلام الأوائل من الذين جعلوا الشعر سلاحا من أسلحة الدين الجديد في معاركه مع المشركين وشعرائهم، ولم ينقطع الأمر إلى يومنا هذا على يد أجيال متعاقبة من الشعراء والمبدعين.

بل يمكن القول إن الرسالة لو قصدنا بها -في أحد وجوه معانيها- مطلق المضمون الذي يتم توظيفه في سياق نفعي ما، فإن الشعر العربي في أكثره لا ينفك

ISSN: 2462-2508

عن مضمون ما يتنوع بتنوع الأغراض والمواقف والأحداث والمقامات التي يقال فيها، فالمديح والهجاء والرثاء والفخر وغيرها من أغراضٍ، كل ذلك ترتكز فيه الرسالة التي يريدها صاحبها على نحو من الأنحاء.

وهو ما أكده نجيب الكيلاني بقوله: "الالتزام" منهج وأسلوب عمل وفق تصور معين، ويمكن القول: بأنه تقيّد بمضمون أو بشكل وهو أمر قديم قدم الفنون والآداب".[3]

وحسب سارتر "أيا ما تكن الأفكار التي تدعو إليها، فسيزج بك الأدب في الحرب. فالكتابة طريق من طرق إرادة الحرية، فمتى شرعت فيها –إن طوعا وإن كرها– فأنت ملتزم"[4]

ويرى الكيلاني كذلك أن "الالتزام في نطاق الحرية الإسلامية لا يضع قيدا على فكر ولا يعطل مسيرة أي جهد علمي، ولا يصادر إبداعا فنيا، إنه تحرير للطاقات الإنسانية كي تؤدي دورها، وتحقق ذاتها، ولا يحدّ من طبيعة التفاعل الإنساني الخلاّق"[5]

وذلك لابد أن يكون مشروطا بتحقق متطلبات الفن وأهمها الجمال، والإمتاع؛ لأن الالتزام مع فن رديء يعطي تصورا سلبيا ويرسخ الانطباعات المسبقة عن الأدب الملتزم بوصفه أدبا وظيفيا لا يعبأ كثيرا بالإمتاع، وحقيقة الالتزام في الأدب المنبثق عن قيم الإسلام ألا يقف عند المضمون "بل لابد من الالتزام بالقيم الجمالية بغية المحافظة على طبيعة الأدب. فهو يؤكد على الجمال بقدر ما يؤكد على الحق في الإنتاجات الأدبية." [6].

وكثيرا ما نجد الأفكار المتدافعة تحاول أن تنتج لها آدابها المعبرة عنها، ولعل من أهم من نظّر للأدب الملتزم هم الماركسيون، وذلك وفق تصورهم لهذا الالتزام، وهو بالطبع يختلف عن الأدب الملتزم وفق التصور الإسلامي، فالملاحظ أن "الالتزام في الفلسفة الماركسية والوجودية يهتم بقضايا مادية آنية. أمّا في المنظور الإسلامي، فهو طاعة ومسؤولية يجمع بين القضايا الدنيوية والأخروية. وهذا هو الفرق الجوهري بين الالتزامين".[7]

ولو سعينا إلى تمييز الالتزام لدى الأديب المنطلق من قيم الإسلام عن غيره من التزامات ومنها الماركسية والوجودية، فإن مصطلح الأدب الرسالي أقرب إلى القبول، وأكثر التصاقا وتعبيرا عن المقصود لدى أدباء الرسالة المستضيئة بقيم الإسلام، وهو كذلك أكثر توفيقا من مصطلح "الأدب الإسلامي" بسبب ما استقر عليه مصطلح الأدب الإسلامي من دلالة عن فترة زمنية من فترات الأدب العربي وهي فترة

(3) مدخل إلى الأدب الإسلامي – نجيب الكيلاني – سلسلة كتاب الأمة – جمادى الآخرة 1407هـ – ط1 – ص 76

(4) ما الأدب؟ – جان بول سارتر – ترجمة وتقديم وتعليق: د.محمد غنيمي هلال – (نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة – د.ت) ص 63.

(5) مدخل إلى الأدب الإسلامي – ص 84.

(6) مفهوم الالتزام في الأدب الإسلامي – د..لخضر العرابي (الأثر – مجلة الآداب واللغات – جامعة قاصدي مرباح – ورقلة – الجزائر – العدد السادس – مايو 2007م).

(7) مفهوم الالتزام في الأدب الإسلامي – د..لخضر العرابي (الأثر – مجلة الآداب واللغات – جامعة قاصدي مرباح – ورقلة – الجزائر – العدد السادس – مايو 2007م).

ISSN: 2462-2508

صدر الإسلام، وكذلك لتحاشي الدعاوى المضادة التي تتهم مثل هذا الأدب بالعنصرية أو استغلال الدين في أمور لا يجب أن يقحم فيها، وغيرها من دعاوى.

ولعل مصطلح "الأدب الرسالي" غير منتشر على نحو ملفت في حقل الدراسات الأدبية والنقدية، ولو رصدناه لدى الأدباء والنقاد المعنيين بالمرجعية الإسلامية في الإبداع، لوجدنا مصطلح "الأدب الإسلامي" أشهر، ويتطلب الأمر جهدا أكبر من المعنيين ليكون "الأدب الرسالي" هو الأبرز؛ للأسباب التي ذكرتها.

وذكر الدكتور خالد فهمي أن الناقد الشاعر د.جابر قميحة –رحمه الله– له فضل بشأن هذا المصطلح؛ حيث يُذْكَر له "اختراعه مصطلح (الأدب الرسالي) وهو يقصد به التأريخ والتبشير بالآداب التي تحمل همَّ الدعوة، وتتعاطى هموم الإنسان الحقيقية المنبثقة من التصور الإسلامي".[8]، وللناقد المبدع الدكتور علي عشري زايد –رحمه الله– عدد من المقالات تناول فيها الدعاة الأدباء، والأدباء الدعاة، وكان أكثر وضوحا في تصنيف أولئك الأدباء الذين يحمّلون إبداعهم الكثير من القيم الإسلامية، فعرف "الأدباء الدعاة" فقال: "هم أولئك الأدباء الذين يمثل الإنتاج الأدبي مجال نشاطهم الأساس، ولكنهم يوظفون أدبهم في سبيل الدعوة، وينطلقون في إبداعهم الأدبي من منطلقات إسلامية، ويتبنون القضايا الإسلامية محورا تدور حوله كل تجاربهم الأدبية"[9].

ويحدد الدكتور نجيب الكيلاني مفهوم هذا الأدب بشكل مركز فيصفه بأنه:

- تعبير فني جميل مؤثر
- نابع من ذات مؤمنة
- مترجم عن الحياة والإنسان والكون
- وفق الأسس العقائدية للمسلم
- وباعث للمتعة والمنفعة
- ومحرك للوجدان والفكر
- ومحفز لاتخاذ موقف، والقيام بنشاط ما[10]

5- سمات الأدب الرسالي:

للأدب الرسالي عناصر إذا ما تحققت في إبداع ما يدخل تحت هذا المصطلح، أهمها كما حددها الباحث حبيب آل جميع: " الالتزام الديني.. عنصر الالتزام الديني من أهم العناصر وأقواها، إذ إن الأدب الإسلامي يجب أن يتسم بسمة الالتزام الديني هذه، ولا يخرج عن هذا الإطار بحجة الحرية أو القانون الوضعي"، وكذلك "السمة الإسلامية.. فلابد هنا أن تكون الصبغة الإسلامية الحضارية، هي صبغة القالب الكتابي، مقالة كانت، أو بحثاً أو نثراً أو شعراً، وكل ما يمكنه القلم أن يكتب" [11].

(8) ويظل بعلو صوت المئذنة – أ.د/ خالد فهمي (موقع أدباء الشام www.odabasham.net).

(9) دعاة أدباء .. وأدباء دعاة – أ.د/ علي عشري زايد (مجلة الرسالة – العدد 7 – مايو 2003م – القاهرة) ص 40.

(10) مدخل إلى الأدب الإسلامي – ص 36.

(11) انظر: الأدب الإسلامي الرسالي .. آفاق وتصورات – حبيب آل جميع – مجلة النبأ ـــ العـــدد 42 – ذو القعدة 1420 هـــ . شباط 2000م (فكرية شهرية تصدر عن المســـتقبل للثقافـــة =

ISSN: 2462-2508

ويجعل التعبير عن واقع الأمة من هذه المحددات.

ويرى الدكتور شوقي ضيف أن الالتزام ليس معوقا أو مانعا من الإبداع، فيقول: "ليس في الالتزام ما يناقض فكرة الإبداع والتفرد أو يناقض قيم الجمال والعناصر الشعرية الخالصة وإنما هو وعي واقتناع وإيمان برسالة الشعر ومسؤوليته في تطوير الحياة أو تغيرها.[12]

إذن الرسالة أو بالأحرى المضمون لا يتناقض مع الإبداع الجميل، ولا يقيد الحرية، بل يخلق مساحة أكبر من التواصل مع القارئ والتأثير فيه، فكثير من المبدعين الذين جنحوا إلى الإغراق في الغموض، أو غلب على شعرهم التهويم، يشكون مر الشكوى من ابتعاد القارئ عنهم إلى أجناس أدبية أخرى، أهمها الرواية.

والطابع العام الذي يغلب على الأدب الرسالي كما رصد ذلك الدكتور صابر عبد الدايم، يتمثل في التالي:

1- التأثر بالبيان القرآني.

2- التراث الإسلامي ومحاور تأثيره في تشكيل الرؤية الشعرية، وهذه المحاور تتمثل في الآتي:

أ- استدعاء الشخصيات التراثية الإسلامية.

ب- الأمكنة الإسلامية وأثرها في تشكيل النسيج الشعري.

3- السفر إلى الماضي لبعث الحاضر وإحيائه وفق التصور الإسلامي.

4- توظيف الطبيعة في تشكيل التجربة الشعرية"[13].

6- اتجاهات الدلالة في أصداء الحياة:

يمكننا الحديث باطمئنان أن مظلة الدين وأكثر الحقول الدلالية الدينية هي التي تسيطر على الديوان، وإن ظهرت حقول دلالية اجتماعية أو في أي مجال من المجالات فهي في خدمة الرافد الأكبر، ولعل عمل الشاعر بالخطابة له دور في سيطرة المعاني الدينية المرتبطة بالإيمان على شعره، كأنه لم ينس دوره في جلب الناس إلى الهداية.

في قصيدته (العفريت المرتجف) يحكي الشاعر عن عفريت ظن أنه بلغ مقام العفاريت الكبيرة، وأصبح قادرا على إغواء الإنسان، لكن الإنسان المسلم، الملتزم بتوجيهات دينه يستعيذ بالله، فيخيب أمل العفريت الصغير، ويرتجف من تلك الاستعاذة التي صرفته منتكسا، يقول الصان:

أمه جنية عانت على الدنيا المخاطر
لابنها العفريت قالت * من بني الإنسان حاذر
ذلك المخلوق نزاع إلى العدوان ماكر
قال: يا أمي اطمئني * فابنك الجني قادر
بعد حين جاء يجري * جسمه العملاق خائر

***

=

والاعلام).

(12) البحث الأدبي – أ.د/ شوقي ضيف (دار المعارف – القاهرة – د.ت) ص 101.

(13) الأدب الإسلامي بين النظرية والتطبيق – أ.د/ صابر عبد الدايم – ط2 (دار الشروق – القاهرة – 2002م) ص 67.

ISSN: 2462-2508

قال لما ساءلته الأم ما هذا الهلوع * لم أعد كالجنس عفريتا قديرا لا يخيب
قد دهاني من بني الإنسان عفريت شنيع * غاب عني أنني نار لها ضد قدير
من غروري قد بدا لي أنه سهل وديع * فخمودي من صقيع * وعذابي زمهرير
قلت إني أتسلى * بهزيل لا يروع * رادع المخلوق ضد * حين يطغيه الغرور
إنه طين وطبع الطين للنار الخضوع * إنما الأضداد ميزان به الدنيا تسير
إذ رآني حدقت عيناه في وجهي وتمتم * كل شيء في رحاب الكون موزون بهير
بكلام صاعق من فيه مثل الرعد زمزم * إن رب الخلق يحمي كل نفس في الحياة
وكأني في مكاني * صرت مغلولا بطلسم * من نجوم ثاقبات * وبروق خاطفات
أنظر الأهوال تترى * من ضعيف يتبسم * من سيول جارفات * ورعود قاصفات
فتواريت لعلي * باختفائي عنه أسلم * من شموس تتلظى * ورياح عاصفات
فاستعذ بالله تسلم * من شرور طائفات

ويكمل الشاعر على لسان ذلك العفريت ما يريد أن يبثه في قارئه من أفكار ومعان، تصب في اتجاه بث الأمل والطمأنينة في نفس الإنسان، وأنه مهما بدا ضعيفا قياسا على ما حوله من مخلوقات، فإنه يمتلك ما يحقق له القوة التي تدفع عنه الأذى، إنها قوة الإيمان بالله واللجوء إلى ذكره لدفع الضر، أو كما ختم الشاعر قصيدته: " فاستعذ بالله تسلم * من شرور طائفات"، ويهيمن على المقاطع الثلاثة فكرة أن الله خلق الكون بمقدار، والأضداد الموجودة فيه ليست عبثا، بل لحكمة، فهو يستدعي إلى ذهن القارئ الآية القرآنية: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: 49]:

ذلك الإنسان في معناه مخلوق عجيب
إنه هش ولكن * قوله فعل رهيب
لست يا أماه أدري * أغبي أم أريب
أرشيد أم سفيه * وعليل أم طبيب

ولعل أسلوب الحكي، وما تخلله من حوار، ولو كان ممتدا على نحو ما، والحكمة التي يسوقها الشاعر في أثناء قصيدته في أكثر من موضع، منها مثلا:"إنما الأضداد ميزان به الدنيا تسير" – كل ذلك مثّل أدوات فنية وظفها الشاعر توظيفا بارعا يخدم فكرته ورؤيته.

ولا تخلو القصيدة من مفارقة تتمثل في أن الإنسان الضعيف ينتصر على العفريت القوي، الذي أصابته الرجفة من الخوف، فضلا عما بها من متقابلات بين جوهر العفريت وهو النار، وبين الصقيع والزمهرير، الذي يسبب له الألم والعذاب.

وفي قصيدته "لمحات من ذلك المخلوق العجيب" يغوص الشاعر في النفس الإنسانية، مبرزا تناقضاتها وتصرفاتها التي تثير العجب، هذه الأفعال التي تناقض ما يجب أن يكون عليه مخلوق رزقه الله

ISSN: 2462-2508

عقلا يميز به، ويهديه إلى سبيل الرشد، يقول الشاعر:

ليس في الأحياء جنس * عامدا يخدع نفسه غير جنس الناس لما * تملأ الأوهام رأسه وهو يدري أن تحت الظاهر البراق عكسه من هنا الإنسان يلقى * في سبيل العيش تعسه

فالإنسان باتباعه الأوهام لا يتحصل على السعادة المرجوة بل يحصل على التعاسة، تسعده الظواهر دون الجواهر، بل يمعن في إهانة نفسه، ويصدق ما يلقيه عليه الآخرون في مدحهم لما لا يستحق:

إن جل الناس بالإيحاء والأوهام يسعد عنده ما راق شكلا * من نقي الدر أجود قل له هذا بديع * منه تَوًّا يتزود كالصدى في كل حال * كان فيه الصوت ردد ويرى الممدوح شمسا * وهو مثل الليل الأسود

ويوجه الشاعر نصائحه، فيبدو وكأنه يدعو إلى اتباع سبيل التزييف والإيهام، غير أن هذه الدعوة جاءت على سبيل السخرية أو السخرية المأساوية إن جاز التعبير، هي إقرار بواقع مختل قبل أن تكون دعوة ساخرة إليه:

مَوِّه الأقوال والأفعال تسلك في الوعور واجعل البهتان جسرا * فوق أمواج البحور ذا لأن الناس ساغوا * كل بهتان وزور لا تفكر إن أردت القصف إلا في القشور لذة موقوتة تلهيك عن سوء المصير

وفي قصيدته " الحذار الحذار من البوار" ينتصر الشاعر بأسلوب تقريري في أكثره لفكرة أن الرجوع إلى الدين يعصم الإنسان من الأفكار المتقلبة التي لا ترسو به إلى شاطئ الأمان:

في بحار الفكر والعرفان طول العمر أسبح مرة آوي إلى فلك وأخرى عنه أجنح هل بلغت المنتهى فيها وخافي السر يسنح لم أزل في البدء عند الشط فوق السطح أضبح غير أني من عياء * تحت ثقل الموج أرزح

الشاعر يوجه إلى البعد عن الاستغراق ربما في أفكار تتعلق بالخالق جل في علاه، هو يريد إيمان التسليم المطلق –على ما يبدو– أو ما يسميه البعض بإيمان العجائز، وما ذلك إلا خشية على من لا يملك مهارات السباحة في مثل تلك المياه العميقة:

أيها السباح في بحر من الأنواء صاخب في بحار الفكر تيار خفي الفعل جاذب كم به طاحت عقول * وانطوى في الموج لاغب فاحذر التيار تسلم * إن ريح الزيغ غالب أو فإلا لا تغامر * دون ربان وقارب

وينتصر الشاعر للوحي على حساب العقل في هذا النص، مقدرا أن الركون إلى العقل واعتباره المعيار الوحيد للتمييز بين الأمور – يعتبره معيارا مضللا، بل يؤدي به إلى الجحيم والخراب، وهو في ذلك يستحضر صورة الحضارة الغربية على نحو ما، وهي

ISSN: 2462-2508

التي غلّبت المصالح على حساب القيم، فقتلت ملايين البشر، ونشرت الخراب في كثير من البلدان التي وقعت تحت احتلالها، واستعبدت الإنسان الحر خصوصا في فترة مرحلة الكشوف الجغرافية:

حينما الإنسان من رشد ودين قد تجرد * وأقام العقل ربا عاث في الدنيا وعربد * وأحال العلم في الأحياء نارا تتوقد * بشقاء الغير يبني عزة الطاغي ويسعد * ربه المعبود مال وكنوز المال معبد

وفي نهاية القصيدة يدعو الشاعر إلى "العلم"، و"الإيمان"، ولا يتناقض ذلك مع اعتراضه الأول على العلم بوصفه موصلا للحقيقة فقط، فالإيمان هو الأساس من وجهة نظره، ويستخدم الشاعر اقتباسا من القرآن الكريم، واصفا به الإيمان، وهو الوصف الذي جاء للجبال في الآية الكريمة: ﴿لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا﴾ [طه: 107] . فالإيمان مستو، لا نتوء فيه ولا انخفاض، هو رياض ظليلة، تحتضن التائه الآتي من غياهب الأفكار والمعتقدات:

في ضياء العلم والإيمان فكر كيف شئت وانشر العرفان والأفكار حرا حيث سرت * إنما الإيمان حصن فالتزمه ما استطعت * ليس في الدين اعوجاج أو تلاقي فيه "أمتا" * بل رياضا يانعات وارفات الظل شتى

وفي قصيدته: " الحقيقة بين الشك واليقين" يسير الشاعر على النهج نفسه مستخدما الحجج والبراهين، والأساليب التقريرية، ولا يخلو الأمر من سوق الأدلة المختلفة على صحة رأيه وطرحه وتهافت الرأي أو الطرح المضاد:

قل لمن أضناه بحث * ليس في الدنيا حقائق * يا ترى هل أنت فيما * أبصرت عيناك واثق * هل من المحسوس والمفهوم فوق الأرض صادق * رحلة الدنيا تساوى * أعجم فيها وناطق * كلنا يا عاقلا في * لجة الأوهام غارق

الشاعر يعتمد على فكرة قديمة طرحها الغزالي في حديثه عن الشك واليقين وهي أن إدراك الحواس للأشياء زائف، فالقمر أو النجوم التي نراها صغيرة، هي في الحقيقة ذات أحجام ضخمة، كثير منها يفوق الأرض، وعلى هذا يجب ألا يثق الإنسان في أن توصله الحواس إلى جوهر الحقيقة، فيؤكد الشاعر على هذه الفكرة في مقطع آخر فيقول:

جوهر الأشياء عنا * في استتار وخفاء * إن يكن في الأرض أو في جوها أو في السماء * والذي بالعلم رضناه يسير من غثاء * فأداة الكشف عقل * قاصر خابي الضياء * في يد الأقدار عن مكنونها كشف الغطاء

فالعقل ما زال في رؤية الشاعر قاصرا عن إدراك الحقائق، وعلى هذا فمصدرها الموثوق به هو الوحي القادم عن طريق الرسل.

وفي قصيدته: "للأهواء أرزاء"، يعزف الشاعر على اللحن نفسه، فيما يتعلق بأن الهوى أو العقل بمفرده

ISSN: 2462-2508

يؤدي إلى الضلال:

في غرور بل جنـــون * قـــدس الإنســـان عقلـــه
وانبرى باسم الترقي * ناشـــرا في الأرض جهلـــه
كم شهير ذي يـــراع * عقلـــه الـــواعي أضـــله
فرأى الأوهام دوحـــا * يمـــنح المحـــرور ظلـــه
ومضى من غير شرع * يجمـــع الأغـــرار حولـــه

وعلى الرغم مما يبدو اعتراضا من الشاعر على الاتكاء على العقل للوصول إلى الحقائق، يوظف الشاعر ما توصل إليه العقل/ العلم من اكتشافات أو اختراعات – يوظف ذلك للتدليل على عظمة الخالق وروعة الخلق، أو ما أطلق عليه الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، فهناك فتوح علمية تم اكتشافها، ولها ما يدل عليها أو يشير إليها في القرآن الكريم، فيقوم الشاعر بتوظيف كل ذلك في سياق حديثه عن القدرة وعظمة الخلق ووجوب الإيمان بالخالق، ومن أمثلة ذلك قصيدته: "النجم الثاقب"؛ حيث يستدعي الاكتشاف العلمي الخاص بما يسمى "الثقوب السوداء"، وعرض لما جاء في القرآن الكريم، من سورة الطارق، وذلك قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ * وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ * ٱلنَّجۡمُ ٱلثَّاقِبُ﴾ [الطارق: 1-4] :

أي نجم ذا الذي في * غيهـــب الأجـــواء مـــارق
أي باب أي دف * في سكون الصـــمت طـــارق
هل له في ذلـــك المضـــمار في الآفـــاق ســـابق؟
أو له في ذا المصـــير المـــذهل المجهـــول لاحـــق؟
كل فكر في بحـــار الحـــدس والتخمـــين غـــارق

***

إنـــه نجـــم عجيـــب جـــاء في القـــرآن ذكـــره
لاح ذكرا واختفى عن راجـــح الألبـــاب أمـــره
ظل في الإعصـــار مجهـــولا إلى أن لاح عصـــره
وبفضل العلم كـــاد اليـــوم أن يـــتراح ســـتره
وتجلـــى مـــن كتـــاب الله للإنســـان ســـتره

فالشاعر يجعل للعلم فضلا، وقد يبدو هناك نوع من التناقض في موقف الشاعر من العلم والعقل، في رفضه له أحيانا بدعوى أنه لا يوصل إلى حقيقة كاملة، وفي الركون إليه أحيانا أخرى لإثبات إعجاز قرآني كنا نجهله، ويمكن التوفيق بين الموقفين بأنه لا يعادي العقل والعلم على إطلاقهما، بل يراهما داعمين للإيمان، أما معاداته فهي لمن يجعلهما بديلا للإيمان والوحي.

وكما يرى الشاعر في العقل مفردا دون إيمان ضلالا ينحرف بالإنسان عن الطريق المستقيم، يرى في الأساطير كذلك إلهاء للإنسان عن القول الجاد، ويبدأ قصيدته "للأساطير نشوة" بقوله:

للأســـاطير الـــتي تُحْكَـــى أفـــانين وجـــدب
وقعها في الـــنفس والأسمـــاع كالأنغـــام عـــذب
يشـــتهيها في بـــني الإنســـان وجـــدان وقلـــب
إنهـــا دنيـــا خيـــال وخيـــال الفكـــر خصـــب
من قـــديم طـــاف في آفاقهـــا شـــرق وغـــرب

***

في نواديها نقضـــي الليـــل في ســـكر الشـــعور
تخلب الألباب (ست الحســـن) أو بـــدر البـــدور

ISSN: 2462-2508

حين تخطو في دلال بين أبهاء القصور
والجواري حولها ينشدن ألحان الحبور
وابنة السلطان دوما بنت أقمار وحور

***

والأمير الشاطر المغوار في النعماء يسبح
جاءها عبر البراري يمتطي ظهر المجنح
علها في غفلة الحجّاب بالبسمات تسمح
إنه قد فاق (رومبو) في الهوى وابن الملوح
وتزف العرس في قصر به الأطيار تصدح

الشاعر في المقاطع السابقة يرسم صورا حالمة أو بالأحرى يقص لنا ما في الأساطير من صور حالمة، وأنماط بشرية مميزة، وقد لجأ إلى مزج بديع في استدعاء إشارات دالة على أكثر من أسطورة، تتابع الصور المركزة وكأنها فيلم تسجيلي عن الأساطير، تأسرنا فيه براعة الإخراج والتصوير وتركيب اللقطات، فهو يطوف بنا على "ست الحسن"، "بدر البدور"، "ابنة السلطان"، "الأمير الشاطر".

كلها أسماء أو إشارات إلى شخصيات مشهورة في الحكايات الشعبية التي تحكى للصغار، فتبهرهم، وتأسر الكبار كذلك.

وعلى الرغم من هذا التركيز التصويري الماتع، وهذا التدفق الحكائي، إلا أن الشاعر آثر أن يلفتنا أو يعود بنا إلى قضاياه المحورية في ديوانه، ومنها ما يتعلق بالجد والاجتهاد، والعمل من أجل تغيير هذا الواقع الإلهائي، فهو يرى في الأساطير والحكايات وربما الفنون الأخرى التي تستهلك وقت الإنسان، وتخدره عن إدراك واقعه، وتغيير حاله – يرى في كل ذلك أنه لا طائل منه ولا غناء فيه:

ما الأساطير التي في جوها نقضي الليالي
غير بهتان أتى من فكر مشبوب الخيال
يصرف الأسماع والأفكار عن جد المقال
ثم يبقى ما وحاه ماثلا في كل بال
إن فيها مهربا من حاضر جهم الظلال

***

ليس في الماضي لمن يحيا على الدنيا غناء
لا ولا فيه لمحروم ومحزون عزاء
ذكريات الغابر الحسنى وإن صحت هباء
حاضر الإنسان مهما اشتد فرش وغطاء
وسواء في غمار العيش ضحك وبكاء

***

لكن الإنسان أولى بالذي يغني ويجدي
لن ينال المرء ما يبغي بلا سعي وجهد
ما ارتقى شعب بهزل معرضا عن أي جد
إن ما من شأنه التخييل والإلهاء يردي
كل عصر يشغل البال بشأن مستجد

ويرى في المزارات والأضرحة أوثانا تعبد من دون الله، ويستنكر على أولئك الزوار الذين قدسوها، وكذلك الأدعياء الذين ارتدوا أزياء العلماء مضلين الناس عن النهج المستقيم، يقول في قصيدته: "ليس إلا الله":

منذ حين عادت الأوثان باسم الأولياء
يقصد العباد تابوتا مزانا للدعاء

ISSN: 2462-2508

بخشـــوع وخضـــوع وابتهـــال في رجـــاء قـــادهم للـــوهم جهـــال بـــزي العلمـــاء

وفي قصيدته: "في الإيمان أمان" يفصح الشاعر بشكل لا لبس فيه عن فكرته التي تتمحور حول الإيمان في كل ديوانه تقريبا، والإيمان تجلى في صور عدة، فهو "سلطان رفيق" ورعيته "النفس"، وعلى الرغم من رفقه فهو يزجر النفس عما يشينها، وهي صورة صوفية على الرغم مما يبدو في ديوان الشاعر من نقد للممارسات الصوفية التجسيدية أو تلك التي تقترب من الوثنية -في رؤيته- كالتبرك بالقبور.

والإيمان كذلك تمثل في هيئة حية جعلته كائنا "ساهرا" طول عمر الإنسان، ويستدعي الشاعر صورا موروثة لإسقاطها على الإيمان، منها تشبيهه للإيمان بأنه "بدر ساطع الأنوار"، "نهر ماؤه السلسال غامر"، ويخلص إلى أن الأمن لا يتحقق في الأرض إلا بالإيمان:

إنه في الـــنفس ســـلطان رفيـــق الحكـــم زاجـــر
إنه اليقظان طـــول العمـــر في الإنســـان ســـاهر
إنـــه في العـــيش بـــدر ســـاطع الأنـــوار بـــاهر
إنـــه في القفـــر نهـــر مـــاؤه السلســـال غـــامر
ما على الغبراء أمـــن إن خلـــت منـــه المشـــاعر

وبعد العديد من المقاطع التي تبين أهمية الإيمان وضآلة الإنسان، ومدى حاجته إلى ربه، لا يفوت الشاعر كما يلح في إبداعه في هذا الديوان – لا يفوته أن يتهم العقل مفردا بالقصور والمحدودية، ويجعل الصفاء الداخلي والإيمان المطلق هو الذي ينقل الإنسان إلى بر الأمان عبر طريق الأنبياء:

أيهـــا الإنســـان إن العقـــل محـــدود العطـــاء
صادق الإيمـــان يـــأتي * عـــن طريـــق الأنبيـــاء
لا يـــــرى الآلاء والآيـــــات إلا ذو صـــــفاء
لا ينـــــال الـــــدر إلا باجتهـــــاد واهتـــــداء
والـــذي ينـــأى عـــن الإيمـــان يحيـــا في عـــراء

ومن عناوين قصائده نرى أن الشاعر لا يمل من الدوران في فلك فكرته المركزية، مع تنويعات مبدعة، ونفس ممتد، وفلسفة مبسطة، وأدلة من واقع الناس ومن كتاب الكون المنظور، كل ذلك في سياق دعوته إلى الله، والإيمان به، والبعد عن الشيطان، وكل ما من شأنه أن يضل الإنسان.

يظهر ذلك جليا في عناوين قصائده: "لمحات من ذلك المخلوق"، "الحذار الحذار من البوار"، "الحقيقة بين الشك واليقين"، "الإسلام شمس الأنام"، "للأهواء أرزاء"، "لوثة الأوهام"، "ليس إلا الله"، "النصح بين الاعتدال والشطط"، "المفسدون في الأرض"، "يا حياة"، "طبول لا عقول"، "الإنسان لا الزمان"، "في الإيمان أمان"، "ذلك القرآن"، "الله جل جلاله"، "وما أدراك ما الروح"، "الخير يُبْتَلى"، "أخيرا أدركت من أنا"، "المنظور والمستور"، "الموت مظلوم"، "العلم بين الخير والشر".

ومما يوفر على الناقد بعض الجهد أن الشاعر يوضح منهجه في ديوانه، ويبين رؤيته الرسالية لشعره، وفلسفته في الحياة، وقناعاته الإيمانية، بقوله في

ISSN: 2462-2508

قصيدته التي عنوانها "ذاك شعري":

هل وعيتم يا أولي الإدراك والإحساس شعري
وعرفتم في ضباب الحقد والتجديف قدري
إنه روض نضير إنه مرآة عصري
وبه أودعت من صدق الرؤى مكنون صدري

***

ذلك المسطور في الأوراق مرآة الحلوم
تعكس المكنون في الوجدان والصدر الكتوم
وتجلي للرؤى ما يحتويه من علوم
وتمد القارئ اليقظان بالرأي السليم
إنها الميزان والمصباح للفكر الحكيم

***

أيها المرتاد روض الشعر حدق في الزهور
في تأن حاضر الإدراك يقظان الشعور
كي تميز الدر والأصداف بالعقل البصير
وترى الإيماء والتلميح للمعنى البهير
دون تهويل وتزويق ونظم للقشور

ويرفد الشاعر نهر الإيمان المتدفق في أثناء ديوانه بروافد متعددة تدعم الفكرة المحورية، فيلجأ إلى ما يمكن تسميته بالنقد الاجتماعي، ويوجه إلى البعد عن الأخلاق السلبية، فها هو يتحدث عن الأنانية في قصيدته الموسومة بالاسم نفسه:

(ربِّ نفسي) في سلوك الناس قد صارت شعارا
(وأنا) قد أطلقت في واحة الدنيا شرارا
لم تدع من غير مس محرق أهلا وجارا
إن حب الذات كم أصلى بني الإنسان نارا
إنه الداء الذي في * طبه الإدراك حارا

***

نرجسي النفس فيه من بني الإنسان شكل
دوحة شماء لكن * ما لها في الناس ظل
أو ثمار يرتجيها * ذو ثراء أو مقل
بل نيوب بارزات * إنه في الأرض صل
في ازدراء يتقيه * من له حس وعقل

الشاعر يستدعي المقولات السلبية التي شاعت في المجتمعات المسلمة، وهي مقولة: "يا ربي نفسي"، أو "أنا"، وهي من المصكوكات الدالة على الأنانية والأثرة وتفضيل الخاص على العام، يصور الشاعر أولئك الأنانيين الذين يشبهون الناس شكلا مرة كدوحة فيها أشجار شماء إلا أنها تفتقد إلى أهم ما يميز الدوحة وهو الأوراق التي تمنح الظل، أو الثمار التي تطعم الجائع، هم دوحة اسما، لكن حقيقتهم أنهم أعواد جافة في صحراء قاحلة، وتكتمل القسوة بتصويرهم كالحيات الفتاكة، وهي صورة مرعبة تنفر من الأنانية وأهلها.

7- التشكيل الفني في أصداء الحياة:

المعجم اللغوي: اعتمد الشاعر على لغة سهلة في مجملها، وقليلة هي الألفاظ الصعبة، وغالبا ما يلجأ إلى تفسير ما يظن أنه يحتاج إلى تفسير في هامش كل صفحة فيها كلمات صعبة، وأكثر معجمه ينتمي إلى الحقل الديني، والفلسفي، أما التراكيب فهي مستقيمة لغة وأسلوبا، لا تعقيد فيها ولا غموض في

ISSN: 2462-2508

أكثرها، وقد يترل الشاعر أحيانا إلى مستوى لغة الحياة اليومية، من خلال توظيفه بعض التراكيب العامية، مع محاولة تفصيحها فصاحة مقبولة.

أما الموسيقى، فقد اعتمد الشاعر على مجزوء الرمل في كل قصائد الديوان، وهو بحر متدفق، يناسب الحالة الشعورية والإيمانية التي سيطرت على الشاعر، فالهدوء الموسيقي والتدفق الموجي في بحر الرمل يساعد على إضفاء جو نفسي مناسب لتقبل تلك الدفقات الروحية، والتوجيهات الرسالية التي يبثها الشاعر، وقسم الشاعر قصائد الديوان إلى مخمسات، وأكثر القصائد جاءت في 6 مقاطع لكل قصيدة (عددها 29 قصيدة)، وهي تمثل 50% من قصائد الديوان (عددها 59 قصيدة)، والقصائد التي عددها أقل من 6 مقاطع عددها: 8 قصائد، أما التي تربو على 6 مقاطع فعددها: 6 قصائد. ولعل دلالة تلك الأرقام توحي بميل الشاعر إلى التوسط والاعتدال بالنسبة لطول القصيدة، فالموسيقى المنبعثة من بحر الرمل مناسبة لموضوعاته، واعتماده النظام المقطعي المنضبط بخمسة أبيات للمقطع وفر توازنا على مستوى القيم الصوتية، بالإضافة إلى تنوع القوافي، فكل مقطع مستقل بقافية تختلف عن قافية المقطع الآخر، كل ذلك يشي بنفس مستقرة مطمئنة تدرك غايتها ورسالتها، وكأني بقصائده تدور في حلقات ومسارات منضبطة تماما كما هو شأن كتاب الكون المنظور في حركاته وعلاقات أجرامه وما بينها من جاذبية تحفظ كل جرم في مساره، وتنتظمها جميعا جاذبية كبرى، وقوانين حسابية دقيقة، هكذا أشعر تجاه قصائد ديوان أصداء الحياة ومقطوعاته.

أما القصائد التي جاءت كبيرة نوعا ما –أكثر من 6 مقاطع– فقد وردت في سياق فلسفي إقناعي، تشعر معه أنه يرد على ما أثاره إيليا أبو ماضي من شك، في قصيدته "الطلاسم"؛ والمقصود بالذات قصيدته التي عنونها بـــ " الحقيقة بين الشك واليقين"؛ حيث جاءت في 24 مقطعا، بعدد 120 بيتا.

ويضاف إلى ذلك ما تخلل القصائد من موسيقى أخرى تقليدية كالسجع والجناس وغيرها مما لا تشعر معه بافتعال أو حشر، كشأن قوافيه المتدفقة.

التشكيل البصري: بالنسبة لتشكلات الصورة المختلفة في ديوان أصداء الحياة فإنها في كثير منها جاءت صورا تشبه ما نجده في الموروث الشعري، بالإضافة إلى ما تناثر في أثناء الديوان من صور مبتكرة كتصويره للشخص الأناني بالدوحة المقفرة، أو تصوير العفريت المذعور.. إلخ.

وقد اعتمد الشاعر على التقنيات الموروثة كذلك من تشبيه واستعارة وكناية وغيرها، ولا يخلو الديوان من تقنيات حديثة كالمفارقة أو التناص مع المقدس أو المحكي الشعبي.

ولعل أبرز ما يمكن رصده في الديوان من أساليب وتقنيات فنية هي تعدد النماذج القصصية التي اقتفى فيها أثر أحمد شوقي، ونقصد القصص على لسان الحيوان، ومن نماذجها في ديوان الشاعر قصائد: "في حظيرة الدجاج"، "القطة الواعظة"، "مصرع ذبابة"، "الفأر الأحمق".

فقصيدته "في حظيرة الدجاج" يحكي عن حظيرة بها

ISSN: 2462-2508

ديك، وعدد من الدجاجات، وكان الديك يقوم بدوره على أكمل وجه في حظيرته، من ناحية القيادة والأذان، وذات يوم تاقت نفس الشاعر إلى لحم هذا الديك الشهي، فلما غادر الديك الحياة، نصَّبت إحدى الدجاجات نفسها قائدا وزعيما للحظيرة، فلم تسر الأمور على ما كانت عليه أيام الديك.

ويخلص الشاعر إلى الحكمة المرجوة أو الدرس الذي من أجله نسج الحكاية، وهي أن كلا ميسر لما خلق له، وأن مخالفة الطبع لن تفضي إلا إلى خلل، أو كما قال:

كل جنس فيه طبع * إن تناءى عنه شاقه
كل مخلوق له في العيش أحمال وطاقه
وبناء يقتضيها أحكم الله اتساقه
إن خلف الفطرة البيضاء عي وحماقه
ناقة هل تغتدي فحلا ويغدو الفحل ناقه؟

وفي قصيدة أخى بعنوان: "القطة الواعظة"، يحكي الشاعر عن قطة كانت تلح عليه أن تحوز منه على طعام وشراب، غير أنه خرج عن شعوره نتيجة الإلحاح ورفع العصا في وجهها مهددا، ارتمت القطة على قدميه محتضنة ابنها، مستعطفة إياه، فرق لها، وأصبح كل من في بيت الشاعر في خدمة هذه القطة، والعبرة التي يستخلصها أو الحكمة أو العظة أن إيثار الأم لابنها مدافعة عنه عند احتضانها إياه خوفا عليه أن تهوي العصا فوقه – هذا الإيثار هز وجدان الشاعر، فضلا عما ساقه من حكم تتعلق بأن الإنسان لا يحيا مفردا على هذه الأرض، بل هناك "أمم أمثالكم" كما في القرآن، هو يشير إلى النص القرآني دون أن يذكره، يشير إليه إيماء وليس تصريحا أو اقتباسا:

أيها الإنسان أبصر * لست فوق الأرض وحدك
لا تجاوز في غرور * يا ضئيل العلم حدك
أحقر الأحياء خلق * عنده ما ليس عندك
تقتفيه في سلوك * بز في الإتقان جهدك
لست عنه في غناء * حين لا يحتاج رفدك

وقصيدته التي بعنوان: "مصرع ذبابة"، قصيدة طريفة، يحكي فيها الشاعر عن ذبابة ضايقته، فهشها، فأصرت على مضايقته، فقتلها، فرق قلبه لها فرثاها أو خلدها في شعره، وردت عليه الذبابة بلسان الحال، وهي تنبئ عن رأي الشاعر في القتل والحياة والإنسان والمخلوقات التي تحيط به:

يممت وجهي عساها * فيه تلقى ما تريد
كطفيلي صفيق * عن سماط لا يحيد
كلما أقصيتها عن * وجهي الساجي تعود
وكأن الحلم أغراها فراحت تستزيد

***

حتفها لاقته مني * حينما قد عيل صبري
لم أكن أبغي لها ضرا ولا إلحاق ضر
غضبة مني أطاحت * بحياة دون فكر
هكذا الإنسان عند السخط يأتي كل شر
وعجيب أنني قد * رحت أرثيها بشعر

***

ISSN: 2462-2508

امنحيني منك صـــفحا * واعـــذريني يـــا ذبابـــة
لست ســـفاكا أســـيغ القتـــل أو أرتـــاد بابـــه
يفقد الإنســـان عنـــد الغـــيظ أحيانـــا صـــوابه
فيصـــب النقمـــة الحمقـــاء لا يـــدري مصـــابه
وكلانـــا لا يـــرى في عيشـــه إلا طلابـــه

***

بلسان الحال قالـــت * ذلـــك الإنســـان أحمـــق
كم طيـــور وشـــياه * لغـــذاء الجســـم أزهـــق
لم تطب إلا شواء * فـــوق جمـــر النـــار يُحـــرق
أينـــا بـــالله فـــوق الأرض بالأحيـــاء أرفـــق؟

***

كل حـــي فيـــه نـــبض * يبتغـــي قوتـــا وريـــا
ليس يألو في ســـبيل الـــرزق مجهـــودا وســـعيا
لا يبالي عنـــد لـــذع الجـــوع أخطـــارا ولأيـــا
لكن الإنسان أعتى * مـــن جميـــع الخلـــق بغيـــا
ليس يرضـــى رزق يـــوم * إنمـــا للـــدهر يحيـــا

***

كان أولى أن يكون الرفـــق في الإنســـان ظـــلا
لا يفوق الوحش في الغابـــات ترويعـــا وخـــتلا
قد حبـــاه الخـــالق الـــرحمن إحساســـا وعقـــلا
ما لـــه قـــد أوســـع الأحيـــاء إعناتـــا وقـــتلا
ليس جافي الطبـــع يـــا إنســـان للتكـــريم أهـــلا

8- الخاتمة:

ديوان أصداء الحياة تتحقق فيه الكثير من القيم والسمات المرتبطة بالشعر الرسالي، فالديوان يكاد يتمحور حول قضايا وموضوعات وجودية، ترتبط بكنه الإنسان، ومصيره، والإيمان بالله، والغيبيات، ومحاولة صياغة العديد من الأفكار والمعاني العقدية والفلسفية والحكمية في هيئة شعرية، يقربها الشاعر إلى الجمهور بلغة سلسة قريبة من الفهم العام، ضاربا المثل والحكمة، وأشعاره متدفقة كالأمواج الهادئة، المتتابعة، التزم فيها بوزن واحد وهو مجزوء الرمل، مع تنوع القوافي؛ حيث كتبت قصائد الديوان على هيئة مخمسات، بل لعلني لا أكون مبالغا لو قلت إن أغلب الديوان في وزنه وقوافيه وروحه العامة أقرب إلى قصيدة واحدة ممتدة، وما القصائد ومقاطعها إلا محطات تنقلنا كل واحدة إلى الأخرى في سبيله لجذبنا ناحية معتقداته ورؤيته عن الله والإنسان والحياة.

ومما يميز الشاعر كذلك شيوع الروح القصصي في شعره، فالعديد من القصائد تتلبس ثوب الحكي، ويقوم الشاعر بدور الراوي الحكيم الذي لا يفتأ يضع حكمة أو عظة في أثناء قصه الشعري، والشاعر على ما بدا من بعض النماذج متأثر بطريقة أمير الشعراء أحمد شوقي في كتابة القصة الشعرية على لسان الحيوان، تتخللها الحكمة التي تأتي طواعية دون افتعال في أكثر النماذج، وإن شاب الصورة الشعرية شيء من المباشرة التي نراها واضحة في مثل هذا النوع من الإبداع الرسالي، مما يجعل الآراء تختلف بشأنه إن كان قصر في حق الفن أو راعى الجمهور المستهدف الذي قد يؤثر الغموضُ الفني على إدراكه للرسالة التي يحملها الإبداع.

ISSN: 2462-2508

ولعل ديوان أصداء الحياة يحتاج إلى دراسة أخرى أو أكثر لاستكناه ما فيه من إبداع فني وقيم رسالية منبعها الإسلام وحدودها الإنسانية، وكذلك من المهم أن يطبع ليكون متاحًا لجمهور القراء لما فيه من متعة ونفع وفائدة.

المراجع:

1- الأدب الإسلامي بين النظرية والتطبيق – أ.د/ صابر عبد الدايم – ط2 (دار الشروق – القاهرة – 2002م).

2- الأدب الإسلامي الرسالي .. آفاق وتصورات – حبيب آل جميع – مجلة النبأ ــ العدد 42 – ذو القعدة 1420 هـ . شباط 2000م (فكرية شهرية تصدر عن المستقبل للثقافة والاعلام).

3- البحث الأدبي – أ.د/ شوقي ضيف (دار المعارف – القاهرة – د.ت).

4- دعاة أدباء .. وأدباء دعاة – أ.د/ علي عشري زايد (مجلة الرسالة، العدد 7، مايو 2003م، القاهرة).

5- القضايا الفكرية، والخصائص الفنية في خماسيات صان الدين – د. غانم السعيد محمد غانم – ط1 (القاهرة – 1998م)

6- ما الأدب؟ – جان بول سارتر – ترجمة وتقديم وتعليق: د.محمد غنيمي هلال – (نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع

7- مدخل إلى الأدب الإسلامي – نجيب الكيلاني – سلسلة كتاب الأمة – جمادى الآخرة 1407هـ – ط1، القاهرة – د.ت)

8- مفهوم الالتزام في الأدب الإسلامي – د..لخضر العرابي (الأثر – مجلة الآداب واللغات – جامعة قاصدي مرباح – ورقلة – الجزائر – العدد السادس – مايو 2007م).

9- ويظل بعلو صوت المئذنة – أ.د/ خالد فهمي (موقع أدباء الشام www.odabasham.net).